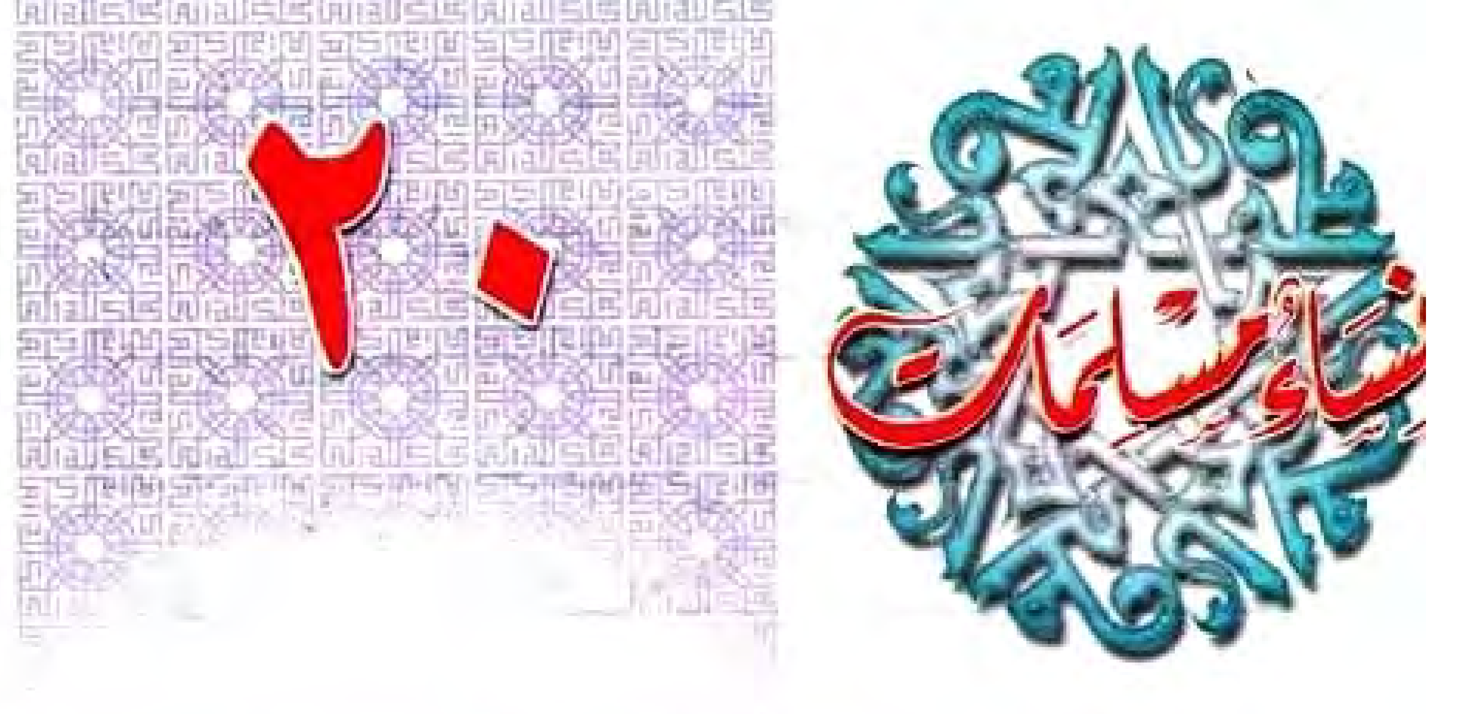


ميمونة بنت الحارث الهلالية

امرأة أحبت الله ورسوله

بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
بريشة: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

اسْتقْبلَتْ مكَّةُ وأهلُها الرسولَ ﷺ وأصحابَهُ فى العامِ السابعِ للْهجرةِ فى شهْرِ ذى القَعْدة لمدَّة ثلاثَة أيَّامٍ ، لتأْديةِ الْعُمْـرةِ فى بيْتِ اللَّه الحْرامِ ، حَسْبَ الاتفاقِ الذى وقَّعهُ الطَّرفانِ فى صُلْحِ الحُدَيْبية فى الْعامِ السَّادسِ للْهجْرةِ .

وطوالَ هذه الأَيامِ الثـلاثةِ ، راحَ المُسلمـون يَطُوفـونَ بالْبَيْتِ ويذْرِفونَ الدُّموعَ وهمْ يدْعونَ ربَّهمْ فى خُشوعٍ :

ـ لبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيكَ .. لبَّيكَ لا شَريكَ لكَ .. إنَّ الحْمْدَ والنِّعْمةَ لكَ والمُلْكَ لا شريكَ لكَ .

ويتْلونَ قوْلَهُ (تعالى) :

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح : ٢٧]

ونظَرَ أهلُ مكةَ إلى هذا المْشْهدِ المْهيبِ الذى يرَوْنهُ لأَوَّلِ مرَّةٍ فى حياتِهم ، ففاضَتْ دموعُهمْ ، وأَحسُّوا بشَىْءٍ ما فى أعْماقِهمْ

يدْعوهُمْ إلى التأمُّلِ والنَّظرِ ، فأطالوا التأمُّلَ والتفكُّرَ ، وكادوا ينْجَذِبونَ إلى هذا الدِّينِ ، لولاَ أنَّ اللَّهَ (تعالى) لمْ يشأْ لهمُ الْهِدايةَ بعدُ .

لكنَّ عـدداً غيـرَ قليلٍ منهمْ لم يسْـتطعْ أنْ يُقـاوِمَ هذا النُّورَ فانْجذَبَ إليـه ، وأعْلنَ إسلامَهُ وحُبَّهُ للرسولِ ﷺ ، وكانَ من هؤلاءِ « ميمونةُ بنتُ الحارثِ الْهِلاليَّةُ » أُخْتُ



« أمّ الفضلِ لُبابةَ بنتَ الحارثِ » زوجةَ العباسِ بنِ عبدِ المطّلب ، حيثُ كانتْ أمُّ الفضلِ امرأةً مسلمةً مؤمنةً باللّه ورسولِه ، أسلمتْ منذُ وقتٍ مبكّرٍ ، وكانَ لها مواقفُ مشهودةٌ فى تاريخِ الإسلامِ والمسلمينَ ،فقدْ ضربتْ أبا لهبٍ بعمودٍ فى منزلِها فشجّتْ رأسهُ حينَ اعتدى على خادمِها الذى أعلنَ إسلامَهُ ، وقالتْ لهُ أمُّ الفضلِ :

ـ أستضعفتَه حينَ غابَ عنهُ سيدُهُ ؟

وانصرفَ أبو لهبٍ ذليلاً بعدَ أنْ لقّنتْه أمُّ الفضلِ درساً لا ينساهُ أبداً .

لاحظتْ أمُّ الفضلِ أنَّ قلبَ أختِها « ميمونةَ » يهفو إلى الرسولِ ﷺ ، ويحنُّ إلى نورِ الإسلامِ فسألتْها على حينِ غفلةٍ :

ـ هل تشتاقينَ للقاءِ محمد ﷺ ؟

فدمعتْ عيناها وقالتْ :

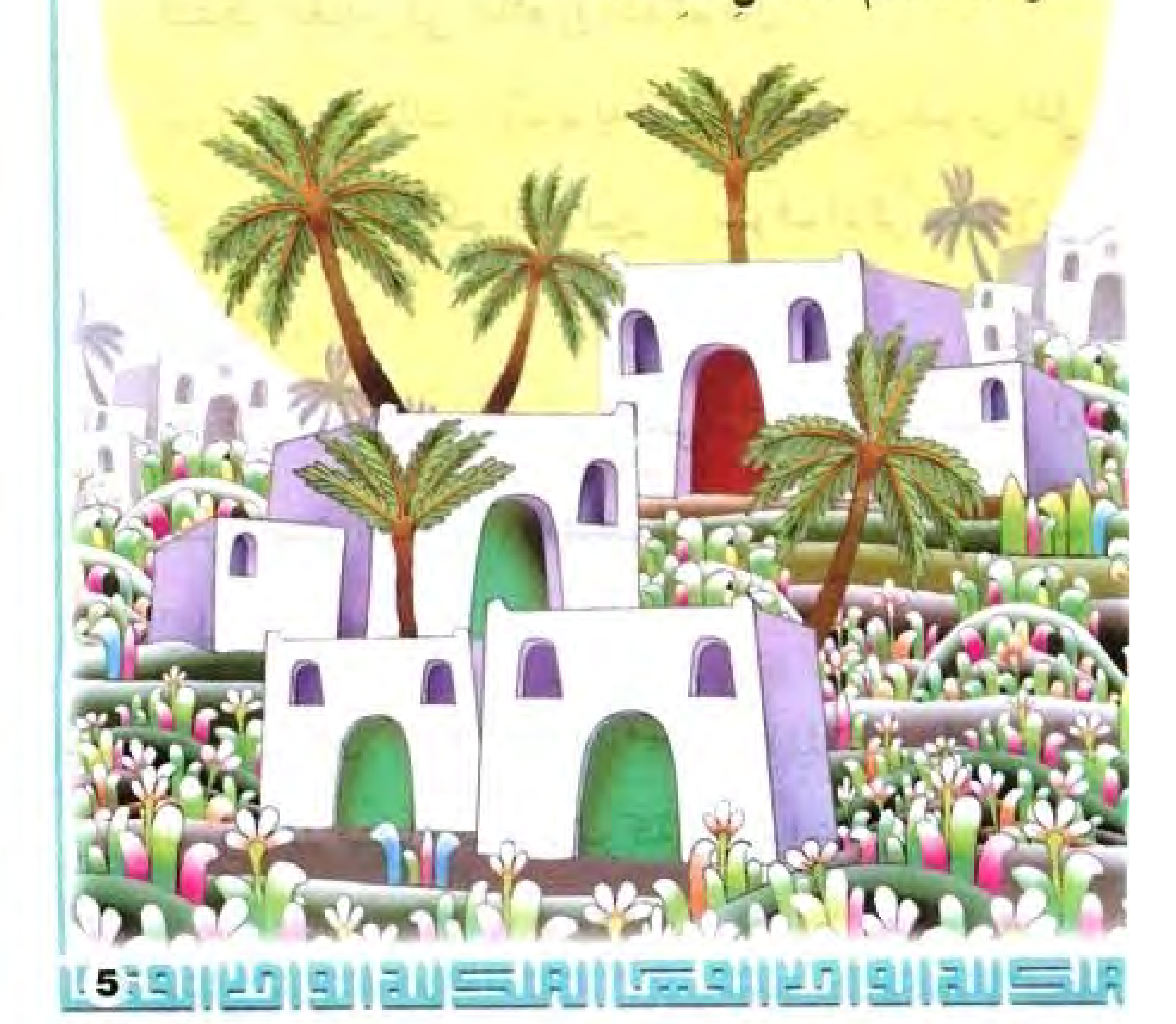
ـ وددتُ لو أنعمَ اللّهُ عليَّ بالوصالِ من حبيبِه ﷺ ،

كي أغْتسلَ من ذُنُوبي بنورِ وجْهِه ، وأَحْيا ما بقيَ من حيَاتي في كَنَفه وطَاعتِه .

فقالتْ أُمُّ الفَضْلِ :

ـ عسَى اللَّهُ أنْ يُحقِّقَ لكِ هذا الرجاءَ ، فأنتِ امْرأةٌ شريفَةُ النَّسَبِ ، تعلَّقَ قلْبُكِ باللَّهِ ورَسُولِه .

وأَضافتْ أُمُّ الْفضلِ قائلةً :



ـ إذا جاءَ الْعباسُ زَوْجى ، ذكرتُ له ذلكَ ! وفى نهايةِ الأيامِ الثلاثةِ ، وفى منْزلِ العباسِ قالتْ لَه « أُمُّ الْفَضلِ » :

ـ إنَّ أُخْتى « مَيمونَةَ » قدْ ماتَ عنْها زوْجُها أَبو رَهم ، وهى امْرأَةٌ تحبُّ اللَّهَ ورسولَهُ ، فاذْكُرها عند رسولِ اللَّه ﷺ ، عسى أنْ تُصْبِحَ أُمًّا للمُسلمينَ .

فتفكَّرَ العباسُ فى كلامِ زوْجَته ثم قالَ :

ـ واللَّهِ لوْ تمَّ ذلكَ ، لكانَ له أكْبرُ الأَثَرِ فى نفُوسِ أهلِ مكَّةَ ، وخاصةً أَهلكُم الْهلاليِّينَ .. سوْفَ أَذكرُ ذلك لابْنِ أَخى ﷺ .

وانْطلقَ الْعباسُ حتى أَتى النبىَّ ﷺ ، فأَخذَ يذكُرُ له مَيْمونَةَ بنتَ الحارث ، ويصفُ له حُبَّها للَّهِ ورسولِه ، ثم قال له :

ـ يا بْنَ أَخى ، لقدْ فقدتْ « ميمونةُ » زوْجَها ، فتزوَّجْها فإنَّ زواجَكَ منْها سيكونُ برَكةً وخيْرًا على أهل مكةَ ،

فقدْ يكونُ سببًا فى استمالتهم إلى الإسلامِ ، كما أنَّ « ميمونةَ » امرأةٌ شريفةٌ مؤمنةٌ .

ووافقَ الرسولُ ﷺ على الزَّواجِ من ميمونةَ وأصْدقَها أربعمائةِ درهمٍ ، وأصبحَ الناسُ فى مكَّةَ لا حديثَ لهمْ سوى زواجِ الرَّسولِ الأعْظمِ منْ هذه المرأةِ المؤمنةِ



التى أَحَبّتَ اللّهَ ورسولَه ، وتمنّتْ أنْ يكرِمَها اللّهُ بالقُربِ من رسولِ اللّه ﷺ ، فكافأها بأنْ صارتْ زوجةً للرّسولِ ﷺ وأُمًّا للمؤمنين .

كانت الأيامُ الثلاثةُ التى يؤدّى فيها المسلمونَ العُمْرةَ قدْ أوشكتْ على الانقضاء ، وقدْ أرادَ الرسولُ ﷺ أنْ يتّخذَ من زواجه من « ميمونةَ » وسيلةً للزيادةِ فى التّفاهُمِ بينَه وبينَ قُريْشٍ ، فلما جاءَه زعماءُ مكّةَ يقولون له :

ـ إنهُ قد انقضى أَجَلُك ومكثت بمكةَ أياما ثلاثةً فاخرجْ عنّا .

فقالَ لهمْ ﷺ :

ـ ما عليكُمْ لو تركتمونى فأعرستُ بينَ أَظْهرِكُمْ وصنعْنا لكمْ طعاما فحضرتُموه ؟

وخشى زُعماءُ قريشٍ وسادتُها أنْ يؤثّرَ بقاءُ محمدٍ ﷺ هو وأصحابه فى أهلِ مكّةَ فيتّبعونَ دينَهُ ، بعدَ أنْ رأوْا كيفَ تأثّروا بمحمدٍ ﷺ ، فقالوا فى إباءٍ :

ـ لا حاجةَ بنا إلى طعامكَ فاخرجْ عنا .

ولم يتردَّدِ الرسولُ ﷺ في الخُروجِ من مكَّةَ بعد انْقضاءِ الأَيامِ الثلاثةِ تنفيذًا للْعَهْدِ الذى أَبْرمه مع أَهْلها ، وترك خـادمَــه أُبا رافعٍ ، لـكى يصطحب أُمَّ المُؤْمنين « مَيْمونةَ » إلى المَدينةِ المنوَّرةِ لكَىْ تلْحَقَ به ﷺ ، فبقى أُبو رافعٍ بمكَّةَ حتى أَتى بها النبىُّ ﷺ بالْقُربِ من التنْعيم .



وصدَقت الأيامُ تقدير الرسول ﷺ ، فلَمْ تمرَ سوى أيَّامٍ قَليلةٍ على زوَاجه ﷺ من « ميمونَةَ بنت الحَارث » حتى كان كثيرٌ من العَرب وخاصَةً من أقاربها يعلنون دُخولَهم في الإسْلام واتِّباع محمد ﷺ .

فقدْ وقف خالدُ بنُ الوَليد في جمعٍ من أهل مكَّةَ ـ وكان حتى هذا الوَقت ما يزالُ مُشركا ـ فقال :

ـ لقَد استَبان لكلِّ ذي عقلٍ أنَّ محمدًا ليس بساحرٍ ولا شاعرٍ ، وأنَّ كلامهُ من كلام رب العالَمين ، فحقٌّ على كُلِّ ذي عقلٍ أنْ يتَّبعَه !

ولمْ يصدِّقْ أهلُ مكةَ آذانَهمْ ، فردَّ عكرِمَةُ بنُ أبي جهلٍ على خالد بنِ الوَليد قائلاً :

ـ لقدْ صَبَأْتَ يا خالدُ .

فقالَ خالدٌ :

ـ بلْ أَسلَمْتُ للَه ربِّ العالمين .

وحاوَل عكرِمةُ أنْ يثْني خالد بن الوَليد عن قَرارِه هذا فقالَ له :

ـ واللهِ ، إنْ كانَ أحقَّ قُرَيْشٍ ألا يتكلمَ بهذا الْكلامِ فهو أنت .

فقالَ خالدٌ :

ـ ولِمَ ؟

فقالَ عِكْرِمةُ :

ـ لأنَّ محمدًا قد وضعَ شرفَ أبيكَ حين جُرِحَ ، وقَتلَ عمَّكَ وابْنَ عمِّكَ ببدرٍ . فواللهِ ما كُنْتُ لأُسْلِمَ ولأتكلَّمَ



بكلامكَ يا خَالدُ . أَما رأَيْتَ قريشًا يريدون قتَالَه ؟

فأَجابهُ خالدٌ فى هدوءٍ :

ـ هذا أَمْرُ الجاهليةِ وحميَّتُها . لكنِّى واللَّهِ أَسلَمْتُ حينَ تبيَّنَ لى الحْقّ .

وحينَ عجزَ عِكرمَةُ عنْ مجادلة خالد بنِ الْوليد ، بعثَ إلى أَبى سُفيانَ ليردَّهُ ، فجاءَ أَبو سُفيانَ وقالَ فى غيْظٍ :

ـ أَحَقٌّ ما بلغَنى عنْكَ يا خَالدُ ؟

فقالَ خالدٌ ؟

ـ نعمْ وربِّى ، إنه لحَقٌّ !

فقالَ أَبو سفْيانَ فى غضَبٍ :

ـ واللاتَ والْعزَّى لوْ أَعلَمُ أَنَّ الذى تقولُ حقٌّ ، لبدأْتُ بك قبْلَ محمدٍ .

فقالَ خالدٌ :

ـ فواللَّهِ إنهُ لحقٌّ على رغْمِ منْ رغمَ وأَبَى !

وأرادَ أبو سُفيانَ أنْ يبْطشَ بخالدٍ ، لكنَّ عكْرِمةَ بنَ أبي جهْلٍ منعهُ خوفًا منَ الْفِتنةِ والشِّقاقِ وقالَ له :

ـ أتُريدونَ أن تقْتُلوا خالدَ بنَ الْوليدِ على رأْيٍ رآهُ ، وقريْشٌ كلُّها اتَّفقتْ عليه كما تعلَمُ ؟

ثمَّ أضافَ عكْرمةُ في أسىً :

ـ واللَّهِ لقدْ خِفْتُ ألا يمرَّ هذا الْعامُ ، حتى يكونَ أهلُ مكَّةَ جميعًا قدِ اتَّبعوهُ !

وترك أبو سفيان خالد بن الوليد فلحق برسول اللّه ﷺ ، ثم تبعه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهما ، وقد تأثر بهؤلاء كثير من أهل مكة ودخلوا فى الإسلام ، وكان ذلك كلّه تمهيدا لفتح مكة ودخول أهلها جميعا فى الإسلام .

وانتقلت « ميمونة » إلى بيت النبى ﷺ ، وهناك قامت بدورها كزوجة للنبى وكأم للمؤمنين على أكمل وجه ، فقد كانت حريصة على إرضاء اللّه ، وإرضاء رسول اللّه ﷺ .

ففى مرض الرسول ﷺ الأخير ، كان الرسول ﷺ يرقد فى منزل « ميمونة » (رضى اللّه عنها) ، فلما أحست برغبته ﷺ فى الانتقال إلى بيت عائشة (رضى اللّه عنها) ، رضيت أن ينتقل ﷺ حيث أحب ، فقد كان ما يرضى رسول اللّه ﷺ يرضيها .

وعاشت « ميمونة » (رضى اللّه عنها) بعد وفاة النبى ﷺ عمرا مديدا ، وحين حضرتها الوفاة ، طلبت من أهلها أن يدفنوها فى نفس المكان الذى شهد زواجها الميمون من سيد الخلق ﷺ ، فدفنوها فى قرية « سرف » بالقرب من التنعيم ، وكان ذلك سنة إحدى وخمسين للهجرة .

وقد شهدت زوجات النبى ﷺ لميمونة (رضى اللَّه عنها) بالصلاح والتقوى وصلة الأرحام.

فذات يوم كان يزيد بن الأصم ابن أخت ميمونة هو وابن أخت لعائشة (رضى اللَّه عنها)، كانا بالقرب من دار ميمونة (رضى اللَّه عنها)، وقد بلغ عائشة عنهما ما يسوؤهما فوعظت ابن أختها ونصحته بالتقوى، ثم قالت لابن أخت ميمونة (رضى اللَّه عنها):

إذا جاء نصر الله والفتح



- أما علمتَ أنَّ اللَّهَ ساقكَ حتى جعلكَ فى بيْتٍ منْ بُيوتِ رسولِ اللَّهِ ؟ ذهبتْ واللَّه ميْمونةُ ، ورُمى بحبْلكِ على غاربِك . أما إنها كانتْ واللَّهِ منْ أتْقانا للَّهِ ، وأوْصلنا للرَّحمِ .

رحِمَ اللَّهُ أُمَّ المؤْمنينَ « ميمونةَ بنتَ الحارثِ الْهلاليَّةَ » ، آخرَ امرأةٍ تزوَّجها النبىُّ ﷺ ، وكانَ زواجُها خيرًا وبركةً على قوْمِها وأهلِ مكةَ جميعًا ، رحمها اللَّهُ رحْمةً واسعةً ونفعنا بسيرتها المباركةِ العطرةِ ..

(تمَّتْ)

الكتاب القادم
مارية القبطية

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٧٨٩٦
٩٧٧ - ٢٦٦ - ٨٢٦ - ٢